تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

صرخة أخرى ضد العراق :

ما أطيب قلبك ، وما أكرم معدن نفسك .. لشد ما يعجبنى فيك إخلاصك للفن ، وتمسكك بالمثل العليا ، وتفانيك فى سبيل أنبل الغايات .. تخال الدنيا خلقت كما تشتهيها : نبل فى الطبع ، وحب للخير ، وعبادة للجمال !

لقد أثارت فى كلمتك عن « الفن الشهيد فى العراق » عواطف كثيرة .. وكنت فى كل لقاء لى معك أهم بأن أقول لك أنت صرخت صرختك الدوية لإنصاف شاعر واحد ، فى حين أن هناك عشرات من الأدباء والشعراء يتصارعون مع الحياة القاسية ، ويكافحون فى سبيل الحرية المسلوبة ، ويلاقون فى سبيل ذلك أشد المحن وأفظع التنكيل والاضطهاد !

يا أخى : إن المسألة ليست إنصاف شاعر أو ترضية أديب .. بل هى أعم من ذلك وأوسع شمولا . إنها مسألة الحق المهدور ، والمقاييس الخاطئة ، والضمائر التى أصابها الفساد فلم تشعر بالتبعة ، ولم تعبأ بالمسئولية ! إنها قصة كل بلد عربى ، المحسوبية فيه فوق كل قانون ، والعدالة فى أرضه ضرب من الأفلاطونية التى لا تطبق ، ومواطنوه درجات ورتب كعهود الرقيق !!

وحين تكون ذا ضمير نقى ونفس أبية ، فقد حكمت على نفسك بالإعدام فى أرض غريب عنها نقاء الضمير ، عزيز فيها إباء النفس .. إن نقاء الضمير ، وإباء النفس ، ووفاء القلب ، والإخلاص للمثل العليا ، عملة زائفة فى سوق أثمن بضاعة فيه أخس صفات الإنسان !

ولابد من أنك تعرف قصة الإله الذين يريدون أن يمسخوه عبدا ، أو المعلاق الذى يريدون أن يصيروه قزما .. إنه صاحب القلم !! ذلك الذى يقف فى بدء حياته فى مفترق طريقين : إحداهما قصيرة مليئة بالرياحين ، وارفة الظلال غنية بالعطور .. إنها الطريق التى يصل فيها الحمق وفقراء الذمة والدقمين فى الشرف إلى قمة المجد الزائف ، حين تدفعهم الجرأة إلى أن يسموا الأبيض أسود ، والحق باطلا ، والظلم عدالة ، والنخاسة ديمقراطية ، والرذيلة فضيلة ، إلى غير ذلك من قلب الأوضاع وعبث بالقيم .. ولا شك فى أنك تجد فى كل بلد عربى جمهرة كبيرة من أولئك المهرجين الذين استبدلوا حياءهم بوقاحة ، ووضعوا مكان قلوبهم قطعة من النقود !! وإنك لن تجد أديبا عرفها تقبل عليه الحياة مبتسمة ، وتظلله السعادة بجناحيها النورانيين إلا من هذه الطبقة ...

أما الطريق الثانية فتلك التى تقود سالكها شيئا فشيئا إلى الموت البطىء .. تلك التى تجعله دائما فى عداء مع الحياة ! تلك التى تحرمه مما تحل الرأفة للحيوان الأعجم من قوت ومأوى .. وما تستوجبه الطبيعة من رعاية ! آه ما أقسى الظروف .. لقد عاهدت نفسى ألا أتحدث عن نفسى .. وأرانى اليوم مرغما على نقض العهد لأن الإناء قد فاض ، وامتلأ صدرى بما يشبه القيح !

أغلب الظن أنك تعرف قصة حياتى فى مصر .. أو قل طرفا منها . وأغلب الظن كذلك أنك تعرف كيف كنت أكافح وحيداً قسوة الحياة الجافية ومرارة الدنيا العبوس .. وكيف كنت أجهد جهدى لا لأستمتع بنعيم الحياة أو لأنال وطراً من عهد الشباب ، بل أقنع بالكفاف لمواصلة دراستى الجامعية .. وكنت دائما تهمنى بالنشاط .. عجيب أمرك والله ! .. كأنك لا تعرف أن القلم مهما خط وسطر وملأ الصفحات فلا بقى بحظ يسير من أغباء الحياة !! إذا تنزه القلم عن أن يكون مأجورا ، وأبى الضمير إلا أن يكون أبيض الجيب ، وأخلص القلب للمثالث القدس : الحق والعدالة والحرية !!

إننى لأذكر تلك الأيام والدموع تملأ قلبى ؛ فقد كانت شديدة القسوة ، ثقيلة الوطأة ، عظيمة التكاليف .. وفى سماء

---

* * *

وخيم الصمت سوى نباة ... من الصدى قد آذنت باختفاء

فأذعنت روحى ، وعادت إلى ... دنيا الشقاء البكر والأشقياء

ولم تزل تعجب مما رأت ... فى ليلة نشوى بخمر الضياء

أكان وهما شاعرى الرؤى ... أم كان حلما ساحرى البهاء ؟

ابراهيم محمد نجا

حياتى الحالكة تسطع مصر الكريمة كنجم منور : فإننى مهما كنت قليل الحظ من الوفاء فستظل مصر منزلة أعظم بها من منزلة ، فقد أخذت بيدى من حيث نبذنى وطنى ، وأشفقت على من حيث لم أعرف من وطنى إلا غلظة القلب ، وخشونة الجانب !

وطنى ! . . تلك الأغنية الحبيبة التى كنت أرددها فى ليالى السهاد . . وتلك الكأس التى تنعش روحى كلما أصابها جفاف الحياة . . لقد كنت أذكر وطنى دائما ، وأجاهد لأرفع سمعته ، وأعرف الناس بالشعب الذى أنا منه . . ومع ذلك فوطنى شحيح على ، ضنين بكل ما يثبت أن العراقيين متساوون فى الحقوق ! !

وفى كل سنة أذهب إلى بغداد لأنال ما يقره القانون لى من حق كطالب علم ، غير أن الأبواب تغلق فى وجهى ، ويحال بينى وبين حكم القانون ، وأرجع إلى مصر خاوى الوفاض إلا من تلك العزيمة على مجابهة الحياة ومجالدة الأيام !

إن الحيرة لتشدد على الخناق ! أأنا لا أستحق مقداراً ضئيلا من المال أستعين به على طلب العلم ، فى الوقت الذى تغدق فيه الأموال من غير حساب لغير وجه الحق ؟ ! . . وهل أنا دون أولئك الذين تغدق عليهم الأموال باسم العلم وهم بين كؤوس الطلى ومهرجان الرذيلة ؟ ! أحق أننى لا أستحق بعض ما يناله أصحاب الكروش والذين يحسبون الحياة امتلاء معدة حتى التخمة ، وإراقة الأموال على أقدام الغانيات وتفريغ الجيوب على الموائد الخضراء ؟ !

لا يا صديق . . لقد أثرت شجنى وملأت صدرى بكوامن الهموم ، أنا الذى أحاول دائما إن أنظر إلى الحياة على أنها فصل قصير من رواية ساخرة . . لا أطيق اليوم أن ابتسم وقلبى يشرق بالدمع ، وصدرى يعصف فيه الألم الحاد ، ونفسى فريسة للاحزان !

إننى أكتب إليك هذه الرسالة لا لترفعها إلى معالى وزير المعارف فى العراق . . بل هى هزة ألم اعترت كيانى فسطرتها لك . لأن المرء قد يجد نفسه فى بعض الأحيان أمام قوة هائلة تدفعه من الداخل إلى أن يقول . . إلى أن ينشد لحناً حزينا . . إلى أن يفضى ببعض ما فى نفسه !

إننى جئت إليك لا لأتظلم عن نفسى . . فغدا سوف أدخل المستشفى ، ومن يدرى ؟ ! . . فقد أشهد خاتمة المهزلة ... مهزلة الحياة . . وأنا معلق بين السماء والأرض . . ولكن جئت لأتظلم عن كثير ممن يقضون حياتهم على مضض ، بعيداً عن رحمة الحكومة وحماية القانون ! !

يا صديق . إنها قصة الظلم وليست شكاة الثائر ، لأن النقمة تتحول فى نفسى إلى معدن كريم . . هو الجهاد ! ذلك الغذاء الروحى لنفوس حرمها الناس من الغذاء المادى . . وهو أدنى درجات الحياة ! !

وتقبل من أخيك كل احترام وتقدير ؟

«القاهرة» شاكر طعمة فرمان

أنا من الذين يتقبلون الظلم راضين عنه مطمئنين إليه ، إذا كان فيه شىء من المساواة بين الناس . إنك حين تظالمنى وتظلم سواى ولو بغير حق ، فظلمك للجميع إن لم يكن فى منطق الفكر عدلا فهو عدل فى منطق الشعور والوجدان ! وفى مثل هذه اللحظات التى تروع بأمر القيد وتلوع بوخز الجراح ، تكون المشاعر الإنسانية هى صاحبة الحكم الأول على رواسب الظلم فى قرار النفوس . . أريد أن أقول لك إننا نحتكم فى مثل هذه اللحظات إلى العقل أقل مما نحتكم إلى العاطفة ، ولنا الكثير من العذر إذا نحن خضعنا لمنطق الشعور وسرنا حسب هواه ، وفهمنا الظلم على أنه عدل مطلق ما دام مقترناً بالمساواة !

أتقبل الظلم على هذا الأساس راضياً عنه مطمئنا إليه ، ما دمت أنظر إلى من حولى على أنهم أقران لى ونظراء : كانا فى الضيم قلب إلى قلب ، وكانا فى الظلم روح إلى روح . . أما أن تفرق بيننا فى الحقوق فتعطى باليمين حين تسلب بالشمال ، فهذه هى اللحظات الأخرى التى تنحدر فيها الضمائر وتنطمس المشاعر ، وتنمحى من سفر الإنسانية أجمل ما فيه من سطور وأفضل ما فيه من كلمات ! !

أقول هذا وأنا أقدم إليك هذه الرسالة التى أوقدت بين جنبى شعلة الأسى وألهبت بين يدى شباة القلم . . وتترنح الألفاظ على فمى وأنا أستعرض مرحلة أخرى من مراحل الكفاح ، الكفاح المقدس فى سبيل العلم . نعم ، مرحلة أخرى . . فقد

كانت المرحلة الأولى هي تلك التي حدثتك عنها على صفحات الرسالة : إنها محنة تتبعها محنة ، وصرخة تعقبها صرخة ، ومأساة تلحق بها مأساة .. ويا رنة الأسف للعراق الشقيق ويا رحمة الله للشباب الشهيد !

بالأمس عاش «الناصري» غريباً في وطنه وغريباً في باريس، واليوم يستشعر « غائب » لذع الغربة في القاهرة بعد أن لفحته بنارها في بغداد .. وذنب الأديب والشاعر أن كليهما آثر العلم وآمن به ، وأحب العراق وأخلص له ، وأراد أن يقبس من وهج المعرفة ليعكسها على وطنه فنونا من الضياء . ولكن رياح الظلم قد اطفأت مصباح الأديب فبقي في الظلام ، وطوت جناح الشاعر فكف عن التحليق .. وذلك هو حكم العراق العادل حين يتطلع المخلصون إلى عدالة الأوطان !

وبعد هذا تسمع من يقول لك إن الشباب قد كفروا بالقيم، وسخروا من المثل ، وانحرفوا عن الطريق .. وماذا يفعل الشباب وهم يرون القيم الفاضلة تداس بالأقدام ، والمثل العالية تمرغ في التراب ، والطريق القويم يملأ بالصخور والأشواك ؟ماذا يفعلون وقد عصفت الأهواء بكل ما بقي في نفوسهم من أمن وبكل ما استقر بين جوانحهم من إيمان ! هذا الشاعر المكافح يحال بينه وبين العلم لأنه ليس من أصحاب الثراء ، وهذا الأديب المجاهد تغلق في وجهه الأبواب لأنه ليس من أقارب الوزراء .. ويصل الذين قد عمرت منهم الجيوب وأقفرت العقول ، وقضوا حياتهم وهم ضيوف على موائد اللئق والجهل والنفاق !!

أنا والله أكاد أكفر بالضمير الإنساني لولا بقية من أمل .. بقية أحتفظ بها للغد القريب أو الغد البعيد ، الغد الذي قلت عنه من قبل إنه قد يزف الربيع إلى جفاف الغصون ، ويطلق الأحرار من زوايا السجون، ويحمل خمرة السلوان إلى ندامى الشجن .. الغد الذي قد يأتي بقلوب غير القلوب ، وعقول غير العقول ، وقادة غير القادة ، وعندئذ يجد الشباب المحيرون ذلك الظل الوريف الذي يحميهم من وقدة القيظ ولفح الهجير !

ماذا أقول لهذا الصديق الذي كنت أرقب خطواته في طريق العلم ، وجهاده في ميدان الأدب ، وصبره على تجهم الأيام ؟ ماذا أقول له وقد ترك الجامعة إلى المستشفى ، وحرم رؤية الأستاذ ليشقى برؤية الطبيب ، وهجر دنيا القلم ليصبح وهو طريح الفراش يا أخي صبرا .. صبرا ولو كان هناك إنصاف وإجحاف ، ورعاية وإهمال ، وإغداق وحرمان ! حسبك أن النقمة تتحول في نفسك إلى معدن كريم هو الجهاد ، وحسبي أن أسمع منك هذه الكلمة وهي صادقة ، وهي درع الأمان لكل محارب يتلقى الضربات ، وهي شاطئ النجاة لكل زورق يواجه العاصفة !!

عود الى مشكلة القراء :

تتبعت تعقيباتك عن أزمة القراء وإنها — والصدق يقال — لعين اليقين . إن قراء الكتاب في هذه الأيام فئة قابلة للنقصان لا للزيادة، ولن يمر عدد من السنين — مع بقاء الأحوال الأخرى ثابتة كما يقول الاقتصاديون — إلا ويصبحون في خبر كان .. أما عن قراء المقالة المحترمة ياسيدي فنظرتي إليهم أيضا سوداء ، والفئة الوافرة العدد هم قراء المقالة التافهة التي تنشر مذكرات فلانة الممثلة بقلم الكاتب التافه فلان ، وكأن مثل هذه السفاسف ومثل هذا المجون خليق بأن ينشر فيقرأ !

إن ذلك الذي هجر تجارة عصير الأذهان إلى تجارة عصير الفواكه لرجل ذكي بعيد النظر ، لأنه لم يجد في الجو بارقة أمل لاستصلاح القراء في مصر ، وإلا فما رأيك أنني لم أر في كلية التجارة بجامعة فاروق طالبا يحمل كتابا أدبيا طوال ثلاث سنوات قضيتها في هذه الكلية وكأن حرمها حرام على الكتاب ؟! وقد يقول قائل إن أبحاث الاقتصاد قد سدت من دونه المسالك ، ولكن للأسف فهي الأخرى مسجونة في المكتبة لا تجد المخلص الذي يزورها إلا ما قد ندر !

الطلبة ياسيدي يريدون الحصول على الشهادة بأقصر طريق مشروع ، فالكتب تختصر، والمذكرات تختزل ، وهكذا دواليك إلى تنتهي إلى البرشامة الشهيرة .. إن رؤيتي أحمل كتابا أدبيا الكفيل باستراحة أنظار الطلبة ، ما بين ساخر مني وبين مشفق على لإضاعة الوقت في هذا الهراء ، بدلا من التمتع به متكئا في محطة الرمل على سهيل المثال .. وإني لأعرف من الجامعيين من لا يشتري حتى الجريدة اليومية ، فبأي سلاح يتوجه هؤلاء إلى الحياة ؟ !

ولكني لا أحملهم وحدهم عبء الاتهام ، بل أشرك معهم المدرس الابتدائي والثانوي في تحمل التبعة ، فأغلب المدرسين ولا أقول كلهم قد هجروا الكتاب وتركوه ظهريا وكرسوا وقتهم

وجهدهم فى إعطاء الدروس الخصوصية التى هى كارثة التعليم بلا مراء . إن الطالب مرآة أستاذه وما تلقاه من الطالب فهو إرث انتهى إليه من الأستاذ !

أى مستقبل حالك السواد ينتظر الثقافة عموما فى مصر ، ولكن ماذنب عشاق العلم والأدب الذين يحرمون دون ما ذنب اقترفوه من مؤلفات كاتب مثلك ، يعلم الله مكانته فى قلبى وقلوب قرائه !! . إنك لا تتصور ياسيدى لهفتى ليوم الأحد من كل أسبوع كى أحصل على الرسالة ويكون أول باب أقرؤه هو « التعقيبات » !

ولكن ياسيدى ألا نضيف إلى فئة القراء فئة متعهدى النشر فى تعقيد هذا المشكل ؟ وما رأيك فى أننى ذهبت لشراء « رسائل الرافعى » للأستاذ محمود أبو رية فوجدته بأربعين قرشا ، مع العلم بأن ثمنه المعروف فى كل مكان هو ثلاثون قرشا !!.. أروى لك هذا منتظرا منك التعليق

« الاسكندرية » كمال عبد المنياوى

كلية التجارة جامعة فاروق

هذه الظواهر العجيبة التى يذكرها الأديب الفاضل حول مشكلة القراء ، قد عرضت لها بالبحث والمراجعة فيما كتبته قبل ذلك من فصول ، وبخاصة عندما تحدثت عن ثقافة الطلبة الجامعيين فى هذه الأيام .. وإذا كان الأديب الفاضل يقص علينا بعض مشاهداته فى جامعة فاروق ، فأود أن أقول له إن الحال لا تختلف كثيرا فى جامعة فؤاد ولا فى جامعة ابراهيم ، وان تختلف فى جامعة محمد على إن شاء الله !

إن ثقافة الجيل بوجه عام أمر يدعو إلى الأسف ويبعث على الرثاء ، ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تحدث حتى يقرأ الناس فى مصر ، سواء أكانوا جامعيين أم غير جامعيين .. أشهد أن لى صديقا يشتغل بمهنة التدريس فى جامعة فؤاد ، لايكاد يكف عن الشكوى مما يلقاه من جهل الطلبة بفنون العلم وشئون الحياة ، ولا يكاد ينتهى من سرد الأدلة وضرب الأمثال وهو يحدثنى عن طلبة الجامعة ، هؤلاء الذين صدموه بالواقع المر بعد أن عاد إليهم دكتورا من جامعة باريس .. ويحيط الصديق كفا يكف وهو ينظر إلى ثائرا ويقول : يا أخى أقسم لك أننى كنت أعرف أسرة فرنسية صديقة ، وما من مرة أزور فيها هذه الأسرة إلا وتقع عيناى على منظر فريد ، منظر الخادمة وبين يديها كتاب مفتوح ، لا تكاد تلقى به إلا إذا دعيت لمطلب من مطالب البيت أو لأمر من أمور المائدة .. وإذا حدثتك عن شغف الخادمة بالقراءة وولعها بالاطلاع ، فلست بحاجة إلى أن أحدثك عن ثقافة السادة فهى فى غنى عن كل حديث ! الخادمات فى فرنسا يقرأن ، وطلبة الجامعة فى مصر لا يقرأون .. ألا تعذرنى إذا ما ضقت ذرعا بمكانى فى كلية الآداب !!

لقد عذرته بالطبع .. وبقى أن يعذرنى الأديب الفاضل إذا ما أرجأت طبع كتبى حتى تحدث المعجزة الثانية ، وهى أن ترفع وزارة المالية هذه الحواجز السخيفة التى تحول بين الكتاب المصرى وبين البلاد العربية .. إن الكاتب الذى يعتمد على مصر وحدها فى توزيع كتبه يجب أن يكون من الأثرياء ، ليستطيع أن يتحمل الخسارة المادية وهو يواجه أزمة القراء ! أما عن بعض الكتب التى تباع بأكثر من ثمنها المحدد فهى ظاهرة لم أسمع بها من قبل . لقد كنت أفهم مثلا أن يسلك الناشرون هذا الطريق إذا ما ساعدهم الجمهور القارئ وأقبل على آثار الكتاب ، أما أن يلجأوا إلى هذه الوسيلة وقراؤنا « الأفاضل » يؤثرون عصير البرتقال على عصارة الأذهان ، فهذا هو الغباء الذى يفوق كل غباء !!

وللأديب المنياوى أصدق الشكر على كريم تقديره ، وأخلص التهنئة على أن دراسة الأدب فى حياته لم تشغله عنها دراسة الاقتصاد !

صدى مقيبة البربر :

بين يدى كثير من الشعر ، وكثير من النثر ، وكثير من الأسئلة التى تدور فى محيط الأدب والفن . وأستعرض هذا الفيض من الرسائل لأقول لحضرات الشعراء والكتاب والسائلين ، إن « الرسالة » ان تحجم عن نشر ما يستحق أن ينشر ، وإذا كان هناك شىء من الإرجاء فمرده إلى كثرة ما يصلنا من نفحات الأقلام ، وان تغلق الرسالة أبوابها يوما فى وجه أصحاب المواهب والملكات . أما هؤلاء الذين يبعثون إلى بأسئلتهم الأدبية ، فموعدى معهم فى الأعداد المقبلة إن شاء الله

أنور المعداوى